١٣ ذم طول الأمل وفضل قصره

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلًا ، وإنما يقدم

الإنسان المعاصي ، ويؤخر التوبة لطول الأمل.

وطول الأمل هو رجاء ما تحبه النفس من طول عمر وزيادة غنى كما قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- .[١] والأمل له سر لطيف يقول الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وفي الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل ما تهنى أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا ، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة ، فمن سلم من ذلك لم يكلف بإزالته.[٢]

وقد قيل: لا ينفك الإنسان من أمل فإن فاته ما أمله عوَّل على التمني.

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

عباد الله: طول الأمل مذموم قال الله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[الحجر :٣] .

ومعنى ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ أي اتركهم

و﴿ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ﴾ أي يشغلهم عن طاعة الله وعبادته.

قال الإمام الألوسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وفي الآية إشارة إلى التلذذ والتنعم وعدم الاستعداد للآخرة والتأهب لها ليس من أخلاق من يطلب النجاة .[٣]

وفي هذه الآية الكريمة تهديدان ، ووعيدان عظيمان ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ و﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ قال بعض العلماء: فمتى يهنأ العيش بين تهديدين.[٤]

والأمل قال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : هو الحرص على الدنيا والانكباب

(١) الفتح ج١١(٢٤٠) .
(٢) الفتح ج١١(٢٤١) .
(٣) تفسير الألوسي ج٧(٣٤١) .
(٤) معالم التنزيل ج٣(٤٣) .

عليها والحب لها ، والإعراض عن الآخرة. (١)

ولقد أخبر الله - عَزَّوَجَلَّ - عن طول الأمل عند أعدائه من اليهود والنصارى والمشركين قال الله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة :٩٦] .

قال الإمام الشنقيطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وهذه هي أعظم آية في إزالة الداء العضال الذي هو طول الأمل كفانا الله والمؤمنين شره. (٢)

فمهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا فلابد له من الموت ، وإذا حل به العذاب ، فإن ذلك لا ينفعه مهما طال عمره ولو عاش ألف سَنة ، ولو تمتع بأنواع مُتع الحياة ، قال الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٠٥-٢٠٧] .

وفي صحيح مسلم (٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ، ثم يقال : يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط ؟،هل مر بك نعيم قط ؟، فيقول: لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط ؟ ، هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا والله يا رب ، ما مر بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط** ».

---

(١) تفسير القرطبي ج١٠ .
(٢) أضواء البيان ج١(٧١) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٨٠٧) .

وقال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ [التكاثر :١-٢] .

ويروى أن أعرابيًا سمع هذه الآية فقال: بعثوا ورب الكعبة ، فقيل له في ذلك فقال : ما الزائر بمقيم.

وعند الإمام أحمد[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**ما أخشى عليكم الفقر ، ولكن أخشى عليكم التكاثر ، وما أخشى عليكم الخطأ ، ولكن أخشى عليكم العمد** » .

وفي الصحيحين [٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سمعت النبي ﷺ يقول: « **لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** » .

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت :٤٩] .

قال البغو ي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أي لا يفتر من طلب المال وما يُصلح دنياه.[٣]

وقال الله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ ﴾ [المؤمنون :٥٥- ٥٦] .

وعند ابن حبان[٤] عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم من آمن بك ، وشهد أني رسولك فحبب إليه لقاءك ، وسهل عليه قضاءك ، وأقلل له من الدنيا ، ومن لم يؤمن بك ، ولم يشهد أني رسولك، فلا تحبب إليه لقاءك ، ولا تسهل عليه قضاءك ، وأكثر له من الدنيا** » .

(١) أحمد برقم (٨٠٧٤) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح ج٦(٢٤٣) .
(٢) البخاري برقم(٦٤٣٦) ومسلم برقم (١٠٤٨) .
(٣) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٨٣) .
(٤) صحيح ابن حبان برقم (٢٠٨) .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة.[١]

وقال أيضًا: ما مضى من الدنيا أحلام وما بقى منها أماني والوقت ضائع بينهما.[٢]

وقال أيضًا: وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة . إضاعة القلب وإضاعة الوقت فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى

وطول الأمل والصلاح كله في اتباع الهدى والاستعداد للقاء والله المستعان[٣]

وقال عون بن عبد الله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، ومنتظر غدًا لا يبلغه، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره.[٤]

وفي صحيح البخاري[٥] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين ، في حب الدنيا ، وطول الأمل** ».

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، ويهلك أخرها بالبخل والأمل** » .[٦]

---

(١) فوائد الفوائد ص (٣١٥) .
(٢) فوائد الفوائد ص (٤٤٠) .
(٣) فوائد الفوائد ص (٣٨٥) .
(٤) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٨٦) للبغوي .
(٥) البخاري برقم (٦٤٢٠) .
(٦) الزهد للإمام أحمد برقم (٥١) ص (٢٤) والصحيحة برقم (٣٤٢٧) .

قال يحيى بن معين -رحمه الله- :

نؤمل أن نبقى طويلاً وإنما نُعد من الأيام طرفًا وأنفسا

وقال غيره:

يؤمل دنيا لتبقى له فوافى المنية قبل الأمل

حثيثًا يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

قال العلامة ابن الجوزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر ، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر ، ما أعجب أمرك يا من يوقن بأمر ثم ينساه.[١]

اللهم اجعلنا هداة مهتدين ، وثبتنا على الحق المبين ، واجعلنا من عبادك الصالحين ، والحمد لله رب العالمين

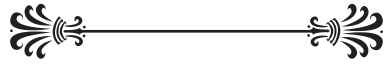

(١) صيد الخاطر ص (٤٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملًا ، أحمده تعالى وأشكره على نعمه الغزار ، وفضله المدرار ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي المختار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: إن قصر الأمل من أعظم ما يسبب للمسلم الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة ، بل إن قصر الأمل هو حقيقة الزهد ، ولهذا سئل الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن الزهد في الدنيا فقال : طيب الكسب وقصر الأمل. (١)

وقال سفيان الثوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن وأكل الجشب ، إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل . (٢)

وقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : الزهد في الدنيا قصر الأمل. (٣)

عباد الله: لقد حث النبي ﷺ على قصر الأمل ، ورغب في ذلك ففي صحيح البخاري (٤) عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال خط النبي ﷺ خطوطًا فقال: «**هذا الأمل وهذا أجله ، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخط الأقرب** » .

---

(١) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٣٣) للبغوي .
(٢) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٨٦) للبغوي .
(٣) مدارج السالكين ج٢(١٣).
(٤) البخاري برقم (٦٤١٨) .

وفي صحيح البخاري [١] أيضًا عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال : « **كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل** » وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك.

وفي سُنن الترمذي [٢] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصًا لنا فقال : « **ما هذا ؟** » ، فقلنا : قد وهى فنحن نصلحه قال : « **ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك** » .

والخص: البيت من القصب.

والأمر: الموت.

وفي سُنن ابن ماجه [٣] عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة . فجلس على شفير القبر . فبكى حتى بل الثرى . ثم قال : « **يا إخواني لمثل هذا فأعدوا** » .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: « **اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » . [٤]

وعند أحمد [٥] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يخرج فيهريق الماء فيتمسح بالتراب ، فأقول يا رسول الله إن الماء منك قريب ،

---

(١) البخاري برقم (٦٤١٦) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٣٥) .
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٤١٩٥) .
(٤) رواه الحاكم ج٤(٣٠٦) .
(٥) أحمد برقم (٢٦١٤) .

فيقول : « وما يدريني لعلي لا أبلغه » .

ولله در من قال:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد أخذت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد أدخلت أرواحهم ظلمة القبر

وكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

وكم من فتى يمسي ويصبح لاهيًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم ساكن عند الصباح بقصره ... وعند المساء قد كان من ساكن القبر

فكن مخلصًا واعمل من الخير دائمًا ... لعلك تحظى بالمثوبة والأجر

وداوم على تقوى الإله فإنها ... أمان من الأهوال في موقف الحشر

وقال آخر:

قصر الآمال في الدنيا تفز ... فدليل العقل تقصير الأمل

قال أبو عثمان النهدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : بلغت ثلاثين ومائة سنَة وما من شيء إلا وقد عرفت فيه النقصان إلا أملي فإنه كما هو.

وقال أبو زرعة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : لبعض أصحابه ما خرجت من المسجد منذ عشرين سَنة فحدثتني نفسي أن أرجع إليه .

والذي يعينك على قصر الأمل شيئان:

١- ذكر الموت كما قال النبي ﷺ: « **أكثروا ذكر هاذم اللذات** » يعني الموت .[١]

قال بعض السلف: شيئان قطعا عني اللذة ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله - عَزَّوَجَلَّ - .

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا ... بأن المنايا بغتة ستعاجله

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا ... بأن إله الخلق لا بد سائله

وقال آخر:

ستنقلك المنايا عن ديارك ... ويبدلك الردى دارًا بدارك

وتترك ما عنيت به زمانًا ... وتنقل من غناك إلى افتقارك

ودود القبر في عينيك يرعى ... وترعى عين غيرك في ديارك

٢- زيارة القبور والتأمل في أهلها ففي صحيح مسلم[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: « **استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت** » .

كما أن أسباب طول الأمل شيئان أيضًا:

١- حب الدنيا: فحب الدنيا رأس كل خطيئة، كما قال جندب بن

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٠٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) مسلم برقم (٩٧٦) .

عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٢- الجهل : قال ابن الجوزي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ولا يغترر بالشباب والصحة، فإن أقل من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت الشبان ولهذا يندر من يكبر [١]

عباد الله: في طول الأمل أضرار جسيمة وأخطار عظيمة منها:

١- قسوة القلب قال الله تعالى:: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد :١٦] .

٢- إساءة العمل قال الحسن البصري -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل .

وقال داود الطائي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : من طال أمله ضعف عمله.

٣- التسويف قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى : ﴿ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴾ [القيامة :٥] ، سوف أتوب سوف أعمل، يقدم الذنب ويؤخر التوبة. [٢]

٤- الغفلة عن العبادة.

٥-٦- الرغبة في الدنيا ونسيان الآخرة قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أخوف ما أتخوف عليكم اثنتان طول الأمل ، واتباع الهوى ، فأما طول الأمل فينسي الآخرة ، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة ، والآخرة مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغدًا

(١) صيد الخاطر ص (٢٦٩) .
(٢) شرح السُّنَّة ج١٤(٢٨٢) .

حساب ولا عمل .[١]

قيل لمحمد بن واسع كيف تجدك ؟، قال: قصير الأجل ، طويل الأمل، مسيء العمل.

أيها المسلمون: ما هي إلا التوبة والاستغفار وتقصير الآمال وإحسان الأعمال ، وإلا فالمصير هو النار والخسار ، وما لهذا الجلد الرقيق صبر عليها فارحموا أنفسكم ، أرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والرمضاء تحرقه، فكيف لو صار إلى النار يحطم بعضها بعضًا ، لا يسمع فيها إلا تغيظًا وزفيرًا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾[النساء :٥٦].

وفقنا الله وإياكم جميعًا لما يحبه ويرضاه ، وجنبنا وإياكم ما يسخطه ويأباه ، إنه جواد كريم بر رحيم.

والحمد لله رب العالمين.

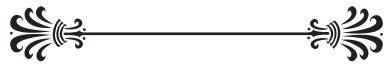

(١) فضائل الصحابة برقم (٨٨١) للإمام أحمد تحقيق شيخنا وصي الله وفقه الله .